



ISSN: 26845883

AL-QARYAH

INTERNATIONAL JOURNAL

(An Annual Peer Reviewed: Arabic Cultural Journal)

PUBLISHED BY:

**NIGERIA ARABIC LANGUAGE VILLAGE
NGALA, NIGERIA.**

(Inter-University Centre for Arabic Studies)

VOL. 2. NO. 1 (JULY 2018)

Design + Print



Al-hashbiy
+2347035467919

دراسة معاجم اللغة: أنواعها وتاريخ صناعتها

إعداد

الدكتور/ محمد كامل أحمد

قسم اللغويات واللغات الأفريقية والأوروبية

جامعة ولاية كوار، ماليكي، الورن، نيجيريا

mohammadkamelahmad65@gmail.com

08055903623/ 08163961578

المقدمة

إن الإهتمام والعناية بشرح غريب ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الذين يعدان المصدرين المهمين للدين الإسلامي كانا المقدمة للناية بسائر مفردات اللغة شعرا ونثرا، ذلك لأن كلا المصدرين لم يستوعبا ثروات لغوية برمتها، فيجب على علماء اللغة بذل المزيد من الجهود في توضيح وتذليل ما يصعب فهمه من الألفاظ العربية المعقدة.^١ وقد قام علماء اللغة بوضع المعاجم اللغوية بشتى الأشكال، منهم من جمع الألفاظ المتعلقة بالنبات والأشجار والكأ، ومنهم من جمع وألف في مفردات ذات الصلة بالحيوان كالخيل والفرس وبالحشرات والأماكن، كما وضع بعضهم كتابا في المعرب والدخيل والأعجمي وغيرها.^٢

لم يدخر علماء اللغة جهدا في المضي قدما في تأليف معاجم لغوية بشكل آخر، فقد قاد الخليل بن أحمد الفراهيدي اللغويين بما ابتدعه في وضع ما يعد أول معجم عربي وهو "كتاب العين"، ثم جاء ابن دريد فوضع "الجمهرة" وأسهم الأزهرى بكتابه "التهذيب" والجوهري قدم "الصحاح" وابن منظور ألف "لسان العرب"، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، حتى أصدر المجمع العربي في القاهرة "المعجم الوسيط" كمحاولات دؤوب لشرح الألفاظ العربية الغريبة.^٣

هذا، ولم ينفرد العرب في مثل هذه الجهود بل سبقتهم إليها أمم مختلفة قبلهم أمثال الآشوريون والصينيون واليونان والهنود.^٤ وجهود علماء اللغة عامة وعلماء اللغة العربية خاصة في جمع وتأليف المعاجم هو حاجتهم إلى شرح ما استغلق عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم أو الاستعمال. ومهمتنا في هذا البحث هي عرض تاريخ صناعة المعاجم وأنواعها مدى العصور على قدر الإستطاعة على أمل مواصلة التنقيب في هذا المضمار في الأبحاث القادمة.

١:١ - ماهية المعجم والقاموس

يتحتم علينا في مستهل هذا البحث وقفة سريعة مع مفاهيم المعجم والقاموس، وذلك لتقريب المفاهيم بين الباحث وقرأء هذا العمل، فلا يحيد أي واحد قيد أنملة عن الطريق المعبد والمهيأ الذي من خلاله يكون الوصول إلى الغاية المنشودة، لاعتبار ذلك جسراً لسر أغوار مضامين البحث.

أولاً: المعجم كتاب يشمل ألفاظ اللغة مع شرح معانيها البعيدة والقريبة، أي المعاني الحقيقية والمجازية، وإتيان دلالاتها ومواضع استعمالها مع التمثيل والشواهد لتوضيح المعاني مرتباً على نط معين.^٥ ويقال في تعريف المعجم أيضاً: "المعجم أو القاموس كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها" على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع.^٦ ويقول الشيخ آدم عبد الله الإلوري في معرض حديثه عن كتب المراجعات: "والمعجم كتاب فيه شرح الكلمات الغريبة على المبتدئ يستعمله أهل العلم ويسمى قاموساً...".^٧

وفي تعريفه للمعجم، يقول أحمد شيخ إنه "كتاب يضم مجموعة كبيرة من مفردات لغة معينة للكشف عن معاني تلك المفردات والإبانة عن غموضها".^٨ وهذا التعريف ينطبق على المعجم الأحادية اللغة. أما التعريف الذي يتمشى مع المعاجم الثنائية أو المتعددة اللغة فهو ما أشار إليه أحمد شيخ قائلاً: "المعجم بشكل عام مرجع يشتمل على كلمات لغة أو لغات ما، أو مصطلحات علم ما، مرتبة ترتيباً خاصاً، مع التعريف بكل كلمة أو ذكر مرادفها، أو نظيرها في لغة أخرى، أو بيان اشتقاقها أو استعمالها، أو معانيها المتعددة، أو تاريخها، أو لفظها، وكذلك الكشف عن معاني الألفاظ الغامضة".^٩

فوفقاً لهذا التعريف، يدخل في هذا المعنى جميع ما يؤدي هذه المهمة التي يقوم بها المعجم، ومنها كتب المصطلحات والغريب، وجميع ما وضع ويوضع من قوائم الألفاظ الرامية إلى تربية وتنقيف دارسي العلم من كلمات غريبة يصعب فهمها واستعمالها. ويتم ترتيب هذه الألفاظ والمفردات ترتيباً هجائياً حيث تلقي أضواء كاشفة على كيفية النطق الصحيح لها واشتقاقها ومعانيها المتنوعة مرصعة بالشواهد والأمثلة الهادفة إلى صحة استعمالها.^{١٠}

هذا، وذهب بعض اللغويين إلى أبعد من ذلك، منهم إميل يعقوب الذي يقول بأن المعجم أو القاموس "كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معانيها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها".^{١١}

وعلى المنوال نفسه، يقول أحمد شوقي بأن المعجم "ديوان اللغة ومفرداتها مرتبة على نظام معين، مع شرح المفردات، وتفسير معانيها، وتوضيح اشتقاقها، وطريقة نطقها، وبيان تاريخها،

واستخدام شواهد تبين مواطن استعمالها".^{١٢} وتسمية المعجم بهذا الاسم جاءت من العربية الفصحى على وزن اسم مفعول ومصدر ميمي واسم مكان من "أعجم". ففي لسان العرب (مادة عجم) العجم والعجم خلاف العرب والعرب... والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب، والأنثى عجماء... أما العجمي فهو الذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح، والأعجم الذي في لسانه عجمة... وأعجمت الكتاب: ذهب به إلى العجمة... وأعجمت: أهملت.. وقفل معجم، وأمر معجم إذا اعتاص.. وأعجمت الكتاب: خلاف قولك أعربته، قال رؤية:

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
والشعر لا يستطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه

معناه يريد أن يبينه فيجعله مشكلا لا بيان فيه.. والأعجم: الأخرس... والعجماء: البهيمة، سميت كذلك لأنها لا تتكلم... وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم... واستعجم الرجل: سكت. واستعجمت عليه قراءته: انقطعت فلم يقدر على القراءة من نعاس.. " ١٣

وعلى النقيض من ذلك، يقول ابن جني: "إعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإهمال والإخفاء وضدّ البيان والإفصاح".^{١٤} هكذا نرى تباينا جليا في معنى هذه الكلمة بين ما أورده إلينا ابن منظور وما ساقه إلينا ابن جني. وفي لسان العرب يدور المعنى حول إزالة الغموض والإلتباس عن الكلمات والعبارات وتوضيح مدلولاتها وتنوير مفاهيم الدارسين لمعرفة طريقة النطق بها وتدوينها. بينما أفادنا ابن جني أن كلمة "المعجم" تعني الإهمال والإخفاء وضدّ الإفصاح والإعراب وكما أفادتنا بعض المعاجم العربية. إذاً، فما الرابط المعنوي بين المعنيين المتباعين؟ في هذا الصدد، يقول إميل يعقوب إن وزن "أفعل" له معنيان، معنى يفيد الإثبات والإيجاب وهو الذي يورد في أغلب الحالات نحو قولك: "أكرمتُ معلّمي" بمعنى "أنك أوجبت له الإكرام". وقولك: "أحببتُ أمي" بمعنى "أنك أوجبت لها المحبة". هذا هو المعنى الأول، أما المعنى الثاني فهو السلب أي ضدّ المعنى الأول نحو قولك: "أشكلتُ الكتاب" بمعنى محوت وأزلت إشكاله، "وأشكيت زيدا" بمعنى "أزلت شكواه".^{١٥}

ويوقفنا التحقيق والتّحقيق أن الحروف الهجائية أخذت إسمها من هذه الظاهرة. فالإعجام هو وضع النقط على الحروف للتمييز بينها لشدة التشابه بينها في الشكل (ب , ت , ج , ح , خ... إلخ) فسميت هذه الحروف كلها بحروف المعجم لأنّ تنقيطها يزيل غموضها والتباسها. ومن هذا المنطلق،

تطلق هذه التسمية "المعجم" على كل كتاب يذهب الغموض والإلتباس عن معاني الكلمات والعبارات.

ومما يستوقف كلاً من الباحث والقراء أن كلمة "المعجم" على الرغم من أنها تستخدم غالباً لدى اللغويين إلا أن رجال الحديث سبقوهم في استخدامها بوقت طويل. والحقيقة أننا لا نستطيع حزم القول في متى أطلقت هذه كلمة "المعجم" بالمعنى المتعارف عليه اليوم، ولا ندري من المسمى الرائد ولا الكتاب الذي أوردها. والمهم أن الفضل يرجع إلى رجال الحديث وعلمائه في أسبقية الإستعمال كما أسلفنا القول. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الكتاب الذي صدر من أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى المتوفى سنة ٣٠٧ هجرية الموافق ٩١٩م، لمعرفة أسماء الصحابة أنه سماه "معجم الصحابة"،^{١٧} كما نرى الكتابين اللذين وضعهما أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المتوفى سنة ٢١٤ هجرية الموافق ٩٢٩ ميلادية لمعرفة اللغويين تقييد كلمة "المعجم" للكتب التي تعالج وتقدم ألفاظ اللغة شرحاً وترتيباً على نمط معين علمياً ومتفق عليه عالمياً وأطلقوا عليها "المعاجم اللغوية" بالمعنى المتعارف عليه اليوم.^{١٨}

بيد أن هناك الكثير من علماء اللغة الذين قد مهدوا السبيل لإبراز ووضع المعاجم والقواميس العربية بين القرن الأول والثاني والثالث الهجري، إلا أن كل ما دونوه وألفوه في هذه المدة يعدّ رسائل صغيرة مرتبة على حسب المعاني.^{١٩} وأما عن أول من وضع المعجم العربي على حسب الحروف الهجائية، ففيه قولان: الأول أنه ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هجرية الذي كان أول من وضع معجماً عربياً مرتباً ترتيباً هجائياً بين المعاجم العربية الموضوعية والمطبوعة في القرن الرابع الهجري (كتاب الجمهرة). والقول الثاني أن الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هجرية قد سبق ابن دريد في تأليفه ذلك المعجم الكبير والضخم "كتاب العين" ورتبه ترتيباً هجائياً وذلك لمدة تقرب من مائتين سنة.^{٢٠}

ثانياً: أما القاموس، فهي كلمة أعجمية معربة، تعني في بداية الأمر البحر، وقيل: قعر البحر، وقيل: البحر العظيم، وقيل: وسطه ومعظمه أو أبعد موضع فيه غورا. ففي لسان العرب، أورد ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١ هجرية، حديثاً نبوياً عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وجه إليه سؤالاً عن المدّ والجزر، إثباتاً لهذا المعنى. فقد قال الرسول ردّاً على السؤال: "ملك موكل بقاموس البحر كلّموا وضع رجله فيه فاض، وإذا رفعها غاض". بمعنى (زاد ونقص).^{٢١}

هذا، ويذهب مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى أن القاموس هو البحر العظيم وعلم على معجم محمد بن يعقوب الفيروزبادي، "و لكن يمكن إطلاقه على كل معجم لغوي على التوسّع".^{٢٢} ومنذ قدم كان علماء العرب الأوائل الذين عنوا بجمع اللغة يسمّون جلّ مؤلفاتهم اللغوية أسماء البحر أو

يصفونها بصفاته. فعلى سبيل المثال، سمى ابن عباس المتوفى سنة ٩٩٥ ميلادية معجمه اسم "المحيط" كما أطلق ابن سيده المتوفى سنة ١٠٦٦م على كتابه اسم "المحكم والمحيط الأعظم"، وأطلق الضاغاني المتوفى سنة ١٢٥٢ ميلادية على معجمه "العباب" أو "مجمع البحرين"، ووضع الفيروزبادي المتوفى سنة ٨١٧ هجرية، و١٤١٥ ميلادية معجمه بعنوان "القاموس المحيط".^{٢٣}

ويجدر بالذكر هنا أنه لوحظت سيطرة كلمة "قاموس" على كلمة "معجم" سيطرة كاملة في الشهرة، إذ دأب معظم واضعي المعاجم - وبخاصة الثنائية اللغة منها - على تسمية معاجمهم باسم "قاموس" وذلك بعد صدور كتاب الفيروزبادي والمسمى بالقاموس المحيط والذي نال إعجابا وثقة العلماء وطلاب اللغة العربية لما تضمنه وامتاز به من جودة وضبط ودقة وإيجاز، لذلك سرعان ما انتشر إلى كافة أرجاء المعمورة بين دارسي العربية ومعلميها منذ طباعته الأولى في القرن العشرين الماضي. وقد قال سليمان ألابي في هذا الصدد:

وأصبح أهم مرجع لديهم لمعرفة مفردات اللغة، يرتاحون لما يدلى به في التمييز بين الصحيح وغيره من الألفاظ، وبين القديم والمولد، وبين العربي والمغرب، حتى تولد لكلمة "قاموس" معنى جديد في أذهان الناس، فكانوا يقولون: فلان "قاموس" لكذا... أي جامع لعلمه.^{٢٤}

وقد شاع استعمال كلمة "القاموس" بمعنى "المعجم" بعد أن كان مختصرا على معجم الفيروزبادي الشهير "القاموس المحيط". ثم توسع الناس فأطلقوا هذا اللفظ على كافة المعاجم بلا تحديد، وهو إطلاق جائز على التوسع، أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة كما جاء في المعجم الوسيط.^{٢٥} وقد أثار هذا اللفظ "القاموس" ولا يزال يثير خلافات بين اللغويين. فهناك طائفة منهم اعترضت على التوسع، ومنهم إبراهيم السامرائي الذي يرفض استعمال لفظ "القاموس" ليعني كلمة "المعجم" ويرى أن الصواب هو استخدام كلمة "المعجم" وذلك تفاديا للبس الذي قد يكتنف المعاجم الأخرى وكتاب الفيروزبادي المشهور. ويسير في الاتجاه نفسه عبد العليّ الودغيري الذي يرى أن كلمة "قاموس" تعني وسط البحر أو معظمه لتعني أخيرا كل كتاب لغوي يحمل في طياته طائفة من الكلمات المرتبة ترتيبا خاصا مع الشرح الوافي لكل منها. واعتقادنا في هذا الرفض ليس من حيث إطلاق المسميات، لأن تسمي الفيروزبادي كتابه "القاموس" بهذا المسمى قد يرجع إلى الشيئين:

الأول:

قد يكون اختيار الفيروزبادي كلمة "القاموس" لكتابه من باب التجاوز والتوسع نظرا لوجود القرينة بين المعنى الأصلي لهذه الكلمة أي وسط البحر أو معظمه، وبين المعنى الفرعي أي احتواء كتابه

"القاموس المحيط" لعدد كبير من ألفاظ ومفردات اللغة العربية، وفورة المياه في البحر وثروة مفردات اللغة العربية في هذا المعجم هي القرينة والعلاقة اللتان أدتا إلى إطلاق كلمة "قاموس" على كتاب يحمل بين طياته عددا كبيرا من مفردات اللغة.

الثاني:

وقد يكون إطلاق هذا العنوان مجرد صدفة كما تطلق العناوين المختلفة على غيره من الكتب الأخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر كتاب الفيومي الذي أطلق عليه "المصباح المنير" وكتاب ابن سيده المعنون "المختص".

أما الطائفة المؤيدة للتوسع فهم المتأخرون من علماء اللغة حيث تبعوا الفيروزبادي في هذا الاتجاه فأطلقوا على معاجمهم وكتبهم لفظ "قاموس"، ونذكر من هؤلاء:

- أ- خليل سعادة (قاموس سعادة) (إنجليزي-عربي)
- ب- خليفة محمد التليسي (قاموس إيطالي-عربي)
- ج- علاء عبد الحميد سليمان (قاموس أسباني) أسباني-عربي
- د- وجدي رزق غالي (قاموس الجيب الأصغر) (إنجليزي-عربي)
- هـ- وجيه حمد عبد الرحمن (القاموس الوجيز في الجذور العلمية) لاتيني - يوناني - إنجليزي-عربي

عربي.^{٢٦}

١:٢- أنواع معاجم اللغة العربية

نظراً لتشعب العلوم والمعارف، نمت أنواع متعددة من المعاجم على حسب المادة التي يختص بها كل معجم. وأهم هذه الأنواع في الآتية:

(١) المعاجم اللغوية:

هذه المعاجم تقوم بشرح ألفاظ اللغة وكيفية ورودها في الاستخدام بعد ترتيبها وفق نمط معين، وذلك لرجوع وعودة الدارس أو الباحث إليها لكشف النقاب عما استغلق عليه من معانيها وبيان دلالاتها وأوجه استخداماتها مرصعة بالشواهد من الكتاب والسنة والمأثورات من كلام الصحابة ومن كلام العرب. وهذا النوع من المعاجم ضروري الوجود لدى دارسي وأساتذة اللغة لا غنى عنها على الإطلاق. ومن أمثلة هذه المعاجم في اللغة العربية: الصحاح للجوهري وتاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة^{٢٧}. هذا، وتنقسم المعاجم اللغوية بدورها إلى أقسام عدة، منها ما يلي:

أ- المعاجم الإشتقاقية أو التأصيلية: هي التي تقوم بالبحث والتنقيب عن أصول كلمات اللغة بغية توضيح أصلها إن كانت عربية الأصل، أو فارسية، أم يونانية، وغيرها من الأمم كالروم والنبط والأحباش وغيرهم. ومن أمثلتها في اللغة العربية المعاجم الخاصة بالمعرب والدخيل.^{٢٨} هذه الألفاظ أخذها العرب منهم واستخدموها بعد إخضاعها لأبنيتهم وأقيستهم وأوزانهم العربية. ومن أمثلة هذا النوع من المعاجم في اللغة العربية: "المعرب" للجواليقي المتوفى سنة ٥٤٠ هجرية، و"شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هجرية. قام مؤلفا هذين الكتابين بترتيب الألفاظ الدخيلة ترتيبا هجائيا مع توضيح الأصل المأخوذ منه اللفظ، وصيغته الأولى في لغته الأصلية، ثم صيغته الجديدة بعد التعريب، فمعناه ودلالاته ومواضع استخدامه معززة بالشواهد.^{٢٩}

ب- المعاجم التطورية التاريخية: هي معنية بتتبع أصل معنى اللفظ ومراحل تطوره تاريخي لهذا المعنى عبر العصور. فعلى سبيل المثال، دراسة معنى لفظة "أدب" في الجاهلية، وكيفية تطور هذا المعنى عبر العصور الأدبية المختلفة حتى وقت تدوين وإعداد المعجم.^{٣٠}

ج- معاجم المصطلحات اللغوية أو الفنية: هي مهمة بجمع مصطلحات علم من العلوم أو فن من الفنون مع التوضيح والشرح والبيان. هذه المعاجم تكون مرتبة ترتيبا هجائيا. ومن أمثلة هذا النوع من المعاجم، معاجم غريب القرآن الكريم، ومعاجم غريب الحديث الشريف. والكتب التي تهتم بتدوين الفروق اللغوية الدقيقة واللطيفة بين المترادفات أو الأضداد، نحو "الفروق اللغوية" لأبي هلال العسكري. ومن أمثلتها أيضا "معجم المصطلحات العلمية" لمؤلفه عبد العزيز محمود، و"المعجم الطبي" لإبراهيم منصور، و"معجم الحيوان" لكاتبه أمين معلوف، و"معجم الموسيقى العربية" لمؤلفه حسين على محفوظ، و"معجم البلاغة العربية" للدكتور بدوي طبانة، و"المعجم الأدبي" لكاتبه جبور عبد النور.^{٣١}

د - المعاجم المعيارية أو التعليمية: هي معنية بتوضيح المعاني اللغوية المعيارية للمتعلّمين بغية تدريس وتعليم المعاني اللغوية الأساسية المقررة لمستوى تعليمي معين. وتمثلها "منجد الطلاب". هذا، وقد يختصر معجم عام مطول لغرض تعليمي بحتة، مثل معجم "مختار الصحاح للرازي" المختصر من معجم (الصحاح للجوهري).^{٣٢}

هه- معاجم التوسع الدلالي أو المجازي: هي تهتمّ بشرح وبيان الاستعمالات المجازية للألفاظ اللغوية وتوضيح علاقاتها بالاستعمال الحقيقي لها، دون الإهتمام بالمقارنة بين المعنيين. وتمثلها في المعاجم العربية معجم "أساس البلاغة" للزمخشري الذي كان حلّ إهتمامه منصبا على إيراد الاستعمالات المجازية للمداخل المعجمية التي اشتمل عليها.^{٣٣}

و- معاجم لغوية خاصة: ويمثل هذا النوع من المعجم معجم الأفعال، ومعجم الأضداد، ومعجم الإبدال ومعجم المترادفات، ومعجم الأخطاء الشائعة.^{٣٤}

(٢) معاجم المعاني أو الموضوعات: طبقا لاسمها، فإنها تعني بجمع الألفاظ اللغوية وترتيبها حسب معانيها أو موضوعاتها وحسب المجالات والحقول الدلالية المختارة. تجدد في مادة "لون" على سبيل المثال كل ما تضمنته اللغة من مسميات الألوان بشتى الدرجات، كما ترى في مادة "نبات" كل أسماء النبات وما لها من صلة. وتمثل هذا النوع من المعاجم، المعاجم العربية الموضوعية القديمة "المخصّص" لابن سيده (١٠٠٧-١٠٦٦م) الأندلسي الضرير حيث ترتيب الألفاظ المجموعة حسب معناها لا حسب لفظها. في هذا المضمار، يتحتم على الباحث قراءة الفهرس الموضوعي العام للكتاب كي يعثر على لفظة استغلق عليه معناها.^{٣٥}

ومن المعاجم العربية الموضوعية، معجم الألفاظ الكتابية لكتابه عبد الرحمن الهمذاني (٩-٩٣٣) الذي دون أسماء الإبل أو السيف، أو غيرها من الحيوانات والأشياء.^{٣٦}

(٣) المعاجم المتخصصة: هي التي تهتم بجمع ألفاظ علم معين أو فنّ ما ومصطلحاتها وتقوم بشرحها شرحا وافيا مبينة طرق استعمالها لدى المتخصصين له. فمثلا، ثمة معاجم لكل من الزراعة، والطب والموسيقى وعلم النفس وغيرها من العلوم والفنون. ويكون ترتيب ألفاظ هذه المعاجم ترتيبا ألفبائيا، وله ارتباط وثيق بتطور العلوم والفنون وبما تستجد من مطالب الحياة والعمل في مثل هذه المعاجم مستمر ما دامت الحياة والحضارة كي يكون قادرا على مسايرة الزمن الذي لا يتوقف عن إيجاد وتقديم المعطيات التي تتطلب وضع المصطلحات الجديدة لها والترجمة المستمرة في اللغات. ويمثل هذه المعاجم معجم العربي القديم المتخصص "التذكرة" لمؤلفه داود الأنطاكي الضرير المتوفى سنة ١٦٠٠ ميلادية. هذا المعجم معني بصورة أكبر بالعقاقير والأعشاب الطبية، وكتاب "حياة الحيوان" للدميري (١٤٠٥-١٣٤١) ميلادية الذي يحتوي أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور تعريفا وذاكرا الخصائص لكل منها على طريقة عصره.^{٣٧} ومن أمثال هذه المعاجم أيضا، المعجم الفلسفي، ومعجم التربية، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية، والقاموس الفقهي، ومعجم مصطلحات أصول الفقه، ومعجم المصطلحات العلمية والهندسية وغيرها.^{٣٨}

(٤) معاجم الترجمة: هي معاجم ذات اللغتين أو متعددها وتعرف أيضا بمعاجم النقل. هذه المعاجم تجمع ألفاظ لغة أجنبية لتشرحها بلغة قومية أو إحدى لغات وطنية وتعابيرها أو العكس. ومثل هذه المعاجم تعتبر أقدم أنواع المعاجم لأنها كانت مستخدمة لدى الساميين في العراق إبان الألف الثالث قبل الميلاد. كما أن أهمها وأكثرها استخداما في هذا العصر في التجارة والأعمال المصرفية الدوليتين وكذلك في الاتصالات والعلاقات الدولية. هذا النوع من أنواع المعاجم يساعد المترجمين للوقوف على منتهى الدقة والصحة وسلامة المفاهيم وذلك لتفادي عواقب وخيمة لما قد ينجم عن سوء اختيار التعابير الصحيحة للترجمة.^{٣٩}

هذا، وقد توضع ألفاظ المعجم باللغة القومية وشرحها أو معانيها يأتي بلغة أجنبية. ففي المجتمع العربي مثلاً نجد معاجم عربية - إنجليزية، أو إنجليزية - عربية، أو فرنسية - عربية، أو عربية - فرنسية أو عربية - فارسية. وقد تكون الألفاظ بلغة أجنبية والمعنى باللغة القومية مثل معجم إنجليزي-عربي. وبلا أدنى شك، فالغاية من مثل هذه المعاجم تسهيل التكلم والكتابة والقراءة وفهم الثقافات باللغات الأجنبية.^{٤٠}

٥) المعاجم المصوّرة: نظراً لأهمية ما تقوم به الصور من إجلاء الغموض عن الحسيات التي لا تقع تحت نظر المرء عادة، بدأ استخدام الصور لتوضيح المعاني في السنة ١٩٠٨م وذلك مع ظهور "المنجد". وما نقصده هنا بالمعجم المصوّر هو الذي يثبت صور كل الحسيات التي يتضمنها. ومثل هذا المعجم ظهر إلى حيز الوجود في هذا العصر على يد اللغوي الألماني المعاصر "دودن". هذا اللغوي قام بوضع معجماً من مجموعة لوحات تدور حول موضوع معيّن وذلك بعد ملاحظته الثاقبة أن الألفاظ الغريبة تكثّر في الحسيات لا في المجردات. أما الطريقة المستخدمة في وضعه هذا المعجم فهي أنه وضع لوحة معيّنة للبيت، وأخرى للسيارة وثالثة لجسم الإنسان، ورابعة للطيور... إلخ، ثم قام بوضع أرقاماً للأجزاء الدقيقة في كل رسم في اللوحة، وفي الصفحة المقابلة للوحة، ثمة ألفاظ بإزاء الأرقام الموجودة في اللوحة، وفي القسم الأخير من المعجم رتب جميع الألفاظ التي تضمنها ترتيباً هجائياً دون التطرّق إلى الشروح أو التفاسير، واضعاً أمام كل لفظة رقم اللوحة التي توجد فيها بصحبة رقمها في الرسم.^{٤١}

٦) معاجم الأمثال: وهي مهتمة بجمع الأمثال العربية وشرح ألفاظها ومعانيها بصورة مقتضبة، وقد يذكر قصّة المثل إن كان لمضربه قصّة، مع ذكر أول من قاله والمناسبة التي يقال ويستخدم فيها. ويمثّل هذا النوع من المعاجم "مجمع الأمثال" لأحمد الميداني المتوفى سنة ٥٠٨ هجرية وهو أشهرها و"المستقصى" لمحمود الزمخشري، و"جمهرة الأمثال" للعسكري، و"الوسيط من الأمثال" للواحدى وغيرها.^{٤٢}

٣:١ - المعاجم في اللغة الإنجليزية

كانت المعاجم الإنجليزية الأولى عبارة عن قائمة مفردات اللغات الفرنسية، والإيطالية، أو اللاتينية مع مقابلاتها الإنجليزية. وتجدد الإشارة إلى أن كلمة Dictionary اخترعها رجل إنجليزي يدعى جون غارلند John Garland عام ١٢٢٠م، وكان حينئذ قد ألف كتاباً سماه Dictionarius لتسهيل فهم اختيار المفردات اللاتينية.^{٤٣} وفي عام ١٥٨٢م، بدأ السيد ريشد ملكست Richard Mulcaster وضع أولى قائمة اللغة التي تضم ٨,٠٠٠ كلمة إنجليزية غير مرتبة ترتيباً ألفبائياً.^{٤٤} وكان السيد رابطة كودري Robert Cawdrey، وهو مدرس اللغة الإنجليزية، قد كتب أول معجم إنجليزي

خالص مرتبا ترتيبا ألفبائيا وذلك عام ١٦٠٤م، تم العثور على آخر نسخة منه في مكتبة أكسفورد Oxford بمدينة بَدْلين Bodleian. هذه المحاولة الأولية وما تلتها من مجهودات أخرى غير معتمدة في تحديد معاني الألفاظ.^{٤٥} وفي عام ١٧٥٤م، أي بعد مرور ١٥٠ عاما على صدور عمل Cawdrey، كان السيد فليس ستنهوب Philip Stanhope يشكو حالة وطنه قائلا: "من المشين عدم وجود ما يمكن الإشارة إليه كلغتنا الفصحى حتى الآن، وإن معاجمتنا الحالية لا تعدو ما يُطلق عليها جارتنا - الألمان والهولنديون كتاب المفردات Word-book بدلا من المعاجم."^{٤٦}

هذا، وقد أسهم السيد جون بلوكار John Bullokar في تاريخ صناعة المعاجم الإنجليزية وذلك بإصداره معجم English Expositor عام ١٦١٦م. وقد شاركت أليشا كولس Elisha Coles في تاريخ صناعة المعاجم من خلال معجمها English Dictionary، كما أصدر السيد طوماس بلنت Thomas Blount قاموسه Glossography الذي يحتوي على ١٠,٠٠٠ كلمة مع الشروح التصريفية والتاريخية عام ١٦٥٦م. ومما رغب في صناعة المعاجم، تأليف السيد أدورد فليس Edward Philips لمعجم آخر بعنوان The New World of English words الذي عدّ سرقة تأليفية وعلمية لفليس Philips ضد معجم Blount، وكان الإثنان يتبادلان الشجب والشتائم.^{٤٧}

والنثير للإهتمام أنه لم تتمتع المعاجم المذكورة أعلاه بثقة الناس حتى أصدر السيد صمويل جونسون معجمه A Dictionary of the English Language عام ١٧٥٥م، نال هذا المعجم ثقة الناس وإعجابهم حتى اعتبروه المعجم الأول المعتمد لديهم، وشاع الاعتقاد بينهم، ولو خطأ، أنه أول معجم في التاريخ على الإطلاق.^{٤٨}

استمرت الحال هكذا لمدة أكثر من ١٥٠ عاما حتى بدأ صدور معجم أكسفورد Oxford English Dictionary مجزءاً ابتداءً من عام ١٨٨٤م، واستغرقت قرابة ٥٠ عاما حتى اكتمل صدور هذا المشروع الضخم (اثنا عشر مجلداً) عام ١٩٢٨م. ويعتبر هذا المعجم الإنجليزي الأكثر شمولية واعتمادا لدى المستخدمين حتى يومنا هذا، مع قيام فريق خاص لاستمرار مراجعته وتحديثه كل ثلاثة أشهر.^{٤٩}

أما عن المعاجم الإنجليزية الأمريكية، فقد نشر نوح ويبستر Noah Webster معجمه الأول A Compendious Dictionary of English Language عام ١٨٠٧م، وبدأ جمع المعجم الموسع والشامل An American Dictionary of the English Language عام ١٨٠٧م مستغرقا ٢٧ عاما لإتمامه. وحرصا منه للتمكن من تقييم تصريف الكلمات، تعلم Webster ست وعشرين لغة بما فيها الإنجليزية القديمة (Anglo-Saxon)، والألمانية، واليونانية، واللاتينية، والإيطالية، والأسبانية، والفرنسية، والعبرية، والعربية، والسنسكريتية.^{٥٠}

أكمل Webster معجمه هذا خلال تواجده في كل من باريس، فرنسا، وجامعة كمبرج University of Cambridge عام ١٨٢٥م. ويحتوي هذا المعجم على ٧٠,٠٠٠ كلمة، لم تظهر منها، على الإطلاق ١٢,٠٠٠ كلمة في أي معجم من قبل. وكمصلح لتهجئة لغة الإنجليزية، اعتقد Webster بأن قواعد تهجئة اللغة الإنجليزية معقدة من غير سبب وجيه، فقدم طريقة أمريكية للتهجئة مستبدلاً كلمة "Colour" البريطانية بـ "Color"، و "Waggon" بـ "Wagon"، و "Centre" بـ "Center"، وأضاف كلمات أمريكية جديدة مثل "Skunk"، و "Squash"، اللتين لم تظهراً في معاجم بريطانية قط. وعند بلوغه السن السبعين، نشر Webster معجمه، وذلك عام ١٨٢٨م، بيع منه على الفور ٢,٥٠٠ نسخة. وتم نشر الطبعة الثانية في عام ١٨٤٠م في مجلدين.^{٥١}

٤:١ - قواميس ثنائية اللغة

إن الخوض في الحديث عن قواميس ثنائية اللغة لا يستدعي عجباً ولا يثير غرابة لأننا درسنا قاموساً ذا لغتين يورباوية وإنجليزية. ونقصد بقواميس اللغة الثنائية كل قاموس أو معجم تكون مواده أية لغة من اللغات الحية، ومثال ذلك مفردات لغة يوربا أمامها مقابلاتها الإنجليزية أو العربية، أو الألمانية أو العكس. واللغة المقابلة قد تكون إنجليزية وهي الأكثر شيوعاً والمعترف بها رسمياً في دولة نيجيريا، أو إحدى اللغات المحلية كهوسا المنتشرة في شمال الدولة، أو إيبو الأكثر استخداماً في شرق نيجيريا أو غيرها. وتكمن أهمية قواميس اللغة الثنائية في ضرورة وجودها في ميدان الترجمة، فهي الأساس المعتمد عليها في نقل الثقافات الأجنبية. ولا جدال في أن معظم اللغات الأجنبية كالعربية تدرس عن طريق الترجمة في معظم دول العالم غير العربي بما فيها نيجيريا. والترجمة ذاتها مجال تخصص تتطلبها حاجة العصر لمواكبة سيران الحياة في مختلف الميادين العلمية والأدبية.^{٥٢}

لم تظهر قواميس اللغة الثنائية خاصة (العربية - الإنجليزية) إلى حين الوجود إلا بعد توجيه العرب عنايتهم إلى مثل هذا الصنف من المعاجم في أوائل القرن العشرين حين نجحت الإنجليزية في السيطرة الكاملة على العربية التي كانت تتمتع بالإعتراف الوطني آنذاك حيث استبدل المستعمرون بلغات البلاد بما فيها العربية لغتهم الإنجليزية، ولم يجد العلماء النيجيريون بداً من الجمع بين الثقافتين العربية والإنجليزية بغية مسايرة ركب الحياة سيما الذين يشتغلون بالوظائف الحكومية المختلفة من سياسة واقتصاد وتعليم وإدارة، ويلجئون إلى الترجمة لنقل الأفكار والمعلومات.^{٥٣}

من هذا المنطلق، بدأ استيراد قواميس اللغة الثنائية بشتى أنواعها إلى أوساط المثقفين بالثقافتين العربية والإنجليزية من خارج البلاد. ومن أمثال هذه القواميس "قاموس إلياس العصري: إنجليزي - عربي لمؤلفه إلياس أنطوان إلياس و إدوارد إ. إلياس".^{٥٤} ومداخل هذا القاموس ومواده اللغة الإنجليزية

على الترتيب الأبجدي مع ذكر ما يقابلها في العربية. وقد وضع المؤلفان السابقان معجم عربي - إنجليزي على المنوال نفسه: إنجليزي - عربي.^{٥٥} كما وضع دار المشرق معجماً مماثلاً أطلق عليه "الفرائد الدرية للطلاب عربي إنجليزي".^{٥٦} وهناك قاموس جامع للنوعين السابقين لمؤلفيه جون روبات وهارني بورتر وأطلقا عليه قاموس عربي - إنجليزي، وإنجليزي - عربي.^{٥٧}

هذا، ومن قواميس اللغة الثنائية المشهورة في أوساط الطلاب الجامعيين "معجم هانز فير" لمؤلفه جون ميلتون كوان، وعنوانه "معجم اللغة العربية المعاصرة: عربي - إنجليزي. وأمثال هذه القواميس المذكورة يتواجد في مكتبات عامة وخاصة سيما في الجامعات والمعاهد النيجيرية العليا التي تدرس فيها العربية والدراسات الإسلامية، ولدى العلماء المثقفين بالثقافة المزدوجة، فهم أصحاب لسانين اثنين، فشتان ما بين السيف الذي له وجه واحد والذي له وجهان.

وفي نهاية حديثنا عن قواميس اللغة الثنائية يجب التنبيه إلى أن هذه القواميس كلها رغم تنوعها، لم نستطع تحبيذ بعضها على بعض على الإطلاق، بل نكتفي بالاستفادة منها حيث نجد ما نحتاج إليه بغض النظر عن تخصصه وعن حجمه وما نستلزمه من المواصفات الضرورية في المعاجم والقواميس.

الختامة

تحدثنا في هذه الدراسة المقتضبة عن ماهية المعجم والقاموس، وما لكل مصطلح من هذين المصطلحين من علاقة لغوية وتاريخية، والاستخدام المزدوج لهذين اللفظين للتعبير عن معنى واحد، ثم تطرقنا إلى ذكر وتوضيح كل نوع من أنواع معاجم اللغة العربية مصحوباً بذكر أسماء مؤلفي أمثال هذه المعاجم. هذا، ومن ضمن ما تضمنته هذه الدراسة تاريخ صناعة معاجم اللغة الإنجليزية بصفة عامة، وتاريخ رجالها والخطوات المتعاقبة المتخذة منذ قرون نحو تحديث صناعتها من جانب، وتاريخ صناعة المعاجم الإنجليزية الأمريكية بصفة خاصة في بداية القرن التاسع عشر من جانب آخر. واختتمنا هذا البحث بالحديث عن قواميس ثنائية اللغة، مع ذكر ما تمّ وضعها من أمثال هذه المعاجم حتى القرن الحالي.

المراجع

١ - عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية: دراسة تحليلية. القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٠م، ص ١٤

٢ - المرجع نفسه، ص ١٤

٣ - المرجع نفسه، ص ١٥

٤ - المرجع نفسه، ص ١٥-١٦

٥ - عبد اللطيف أحمد الشويرف: التدريبات اللغوية. الطبعة الأولى ٤٢٥ هجرية ١٩٩٧ م.

- ٦- إميل يعقوب، المعاجم اللغوية بداءها وتطورها، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م، ص ٩.
- ٧- آدم عبد الله الأتوري: نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧م، ص ٧٧.
- ٨- أحمد شيخ عبد السلام: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ص ١٩٩
- ٩- المرجع نفسه، ص ٢٠٠
- ١٠- إميل يعقوب: المرجع السابق، ص ٩
- ١١- أحمد شوقي: ديوان أحمد شوقي، المجلد الأول والثاني
- ١٢- ابن منظور، لسان العرب، مادة ج ١٢، ص ٣٨٥.
- ١٣- ابن الجني: سر صناعة الإعراب، ط١، تحقيق مصطفى السقا وغيره، القاهرة، البابي، ١٩٥٤، ص ٤٠
- ١٤- إميل يعقوب: المرجع السابق، ص ١١
- ١٥- المرجع نفسه، ص ١١-١٢
- ١٦- المرجع نفسه، ص ١٢
- ١٧- المرجع نفسه، ص ١٣
- ١٨- إميل يعقوب: المرجع السابق، وانظر أيضا: أمين محمد فاعر: دراسات في المعاجم العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة حسان، ١٤٠٤ هجرية - ١٩٨٤ ميلادية، ص ٦
- ١٩- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧، ص ٢٣٢-٢٢٦
- ٢٠- المرجع نفسه، ص ٢٣١-٢٣٢
- ٢١- محمد العدنان في مقدمة كتابه: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م، ص- ي
- ٢٢- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، مصر، إخراج: د. إبراهيم أنيس وآخرين، ١٩٧٢م، (مادة قمس) ٧٥٨ - ٢
- ٢٣- إميل يعقوب: المرجع السابق، ص ١٣
- ٢٤- سليمان آلبي يوسف، "القاموس اللغوي عند علماء اللغة العربية في نيجيريا". (بحث مكمل لدرجة الدكتوراه في اللغة العربية وأدائها بجامعة إلورن، إلورن، نيجيريا، يونيو ٢٠٠٠م، ص ٢٩
- ٢٥- عبد اللطيف الشويرف: المرجع السابق نفسه، ص ٩٨.
- ٢٦- عبد التواب مرس حسن الأكرت: دراسة في المعاجم الخاصة.
- ٢٧- أحمد شيخ عبد السلام: المرجع السابق نفسه، ص ١٠٣
- ٢٨- المرجع السابق نفسه، ص ٢٠١
- ٢٩- عبد اللطيف أحمد الشويرف: المرجع السابق نفسه، ص ١٠٣
- ٣٠- إميل يعقوب: المرجع السابق نفسه، ص ١٨
- ٣١- أحمد شيخ عبد السلام: المرجع السابق نفسه، ص ٢٠١
- ٣٢- عبد اللطيف أحمد الشويرف: المرجع السابق نفسه، ص ١٠٤
- ٣٣- أحمد الشيخ عبد السلام: المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٢
- ٣٤- المرجع نفسه، ص ٢٠٢
- ٣٥- المرجع نفسه، ص ٢٠٢
- ٣٦- إميل يعقوب: المرجع السابق نفسه، ص ١٧
- ٣٧- المرجع نفسه، ص ١٨
- ٣٨- أحمد شيخ عبد السلام: المرجع السابق، ص ٢٠٣
- ٣٩- إميل يعقوب: المرجع السابق، ص ١٦-١٥
- ٤٠- أحمد شيخ عبد السلام: المرجع السابق، ص ٢٠٤

٤١- إميل يعقوب: المرجع السابق، ص ١٩

128.Ltd. London N79 DP, 2001. p – Mark Forsyth. The Etymologicon. Icon Books

– Mulcaster's Elementarie. Learning Dictionaries and Meaning, The British Library, 1582

–Jack Lynch, "How Johnson's Dictionary Became the First Dictionary" (delivered 25 August 2005 at the Johnson and the English Language Conference, Birmingham) Retrieved July 12, 2008

– Ibid. ٤٥

– Ibid. ٤٦

– Ibid. ٤٧

– Simon Winchester, The Surgeon of Crowthorn. ٤٨

en.wikipedia.org/wiki/Dictionary. – ٤٩

– Ibid. ٥٠

٥١- صلاح الدين محمد عبد الحافظ: علم الترجمة، مصر، دار المعرف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص (ز).

٥٢- شيخو أحمد سعيد غلادثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ – ١٩٦٦م، الطبعة الثانية، الرياض،

(شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤١٤، ٥ - ١٩٩٣م، ص ١٤٣

٥٣- وزعت دار الجيل في بيروت - لبنان طبعته الرابعة والعشرين سنة ١٩٨١م، القاهرة، شركة دار إلياس العصرية.

٥٤- توزيع دار الجيل في بيروت عام ١٩٨٢م، القاهرة، شركة دار إلياس العصرية.

٥٥- أنجرت المطبعة الكاثوليكية في بيروت - لبنان طبعته السابعة عام ١٩٨٤م.

٥٦- أخرجه مطبوعا: Dept. Librairie du Liban

٥٧- إشتراك في إصدار طبعته الثالثة ونشرها كل من : مكتبة لبنان - بيروت، ومكدونالد وإيفانس ليمتد، لندن (مايو

١٩٨٠م).